

التنافس الامريكى-الفرنسي في الوطن العربي (لبنان أنموذجاً)

المدرس الدكتور
سمير الظاهر^(*)

المقدمة:

تعد منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي من أهم المناطق الحيوية والاستراتيجية والإقليمية في العالم لما تمتلكه من ثروات نفطية ومعدينية وزراعية هائلة، ومعالم حضارية وعلمية وثقافية وتاريخية، فضلاً عن موقعها الجغرافي المهم كونها تشكل حلقة الوصل بين الوطن العربي والعالم، ولديها مقومات أساسية ومرتكزات تؤهلها بان تلعب دوراً مهماً ومميزاً في العلاقات الدولية، الا ان الدول الكبرى استغلت الصراعات والتراعات التي شهدتها وتشهدها المنطقة سواء الخلافات العربية-العربية وضعف الأنظمة العربية وكذلك الصراع العربي-الإسرائيلي، ولهذا فقد بدأت الدول الكبرى تتكالب وتهيمن على دول المنطقة وانتهاز الفرص لكي تضع يدها وبسط نفوذها للسيطرة على ثورتها وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبعض الدول الأوروبية في العديد من دول المنطقة، وستتناول في هذا البحث دراسة حالة لبنان لكونها عانت من الانتداب الفرنسي لمدة تزيد على (٢٥) سنة^١. فضلاً عن علاقات فرنسا التاريخية والثقافية مع لبنان، ولهذا فسوف نحاول تقسيم هذه الدراسة على قسمين يتضمن الأول الخلافات الأمريكية-الفرنسية حول لبنان، أسبابها ونتائجها، ويتضمن القسم الثاني إلقاء الضوء على الصراع الخفي والعلني للسيطرة على لبنان و بروز الدور الأمريكي ومحاولته اضعاف الدور الفرنسي وتهميشه وخاصة بعد الهيمنة الأمريكية على الساحة الدولية وسيطرتها على النظام العالمي الجديد أحادي القطب.

(*) مدرس في مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد.

^١ د. شفيق الرئيس، التحدي اللبناني، (١٩٧٥-١٩٧٦)، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٨، ص ٣٩.

القسم الأول: تأريخ الخلافات الأمريكية-الفرنسية

نستطيع القول بان العلاقات الأمريكية الفرنسية سادها نوع من الازدهار والتقارب تارة وبعض الفتور والتنافر والتوتر تارة أخرى، لأسباب عديدة منها سياسية واستراتيجية واقتصادية وثقافية غير ان ما يشهده "عالم اليوم يجعلنا بحاجة الى تسليط الضوء على المزاخمة او التنافس الذي تعيشه دول العالم حتى بالنسبة الى حلفاء الأمم

أ. ماهية العلاقات الأمريكية-الفرنسية:

منذ القدم حاولت الإمبراطوريات القديمة والدول العظمى الاستحواذ والسيطرة على الدول الآسيوية والأفريقية والعديد من دول العالم ومن ضمنها منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي لما تحتويه من مواد خام وموارد هائلة سواء نفطية او غيرها من المعادن غير المستغلة، ونظراً لامتلاك القوى الكبرى تقنيات علمية وصناعية سعت باتجاه الآخر للهيمنة عليه مستفيدة بذلك من ظهور الثورة الصناعية في أوروبا والتي أبتت دول العالم الثالث على تأخرها وعدم تقدمها ورقبها في كافة المجالات والميادين والأصعدة السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ شهدت العلاقات الأمريكية-الفرنسية نوعاً من الجمود والخلافات بين الدولتين حول مناطق النفوذ والسيطرة والاحتلال وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وكانت بعض الخلافات معلنة وخفية وقديمة وجديدة، كما كان يسودها نوع من الغموض والملاسات لاعتبارات قومية واستراتيجية واقتصادية، منذ ذلك التاريخ ولغاية وقتنا الحاضر. وفي الحقيقة "ينبغي لأي تحليل للسياسة الخارجية الفرنسية ان يأخذ في نظر الاعتبار حقيقة ان الاتحاد الأوروبي كان ولسنوات طويلة في قمة اولويات فرنسا لاعتبارات قومية ودولية على السواء".^٢

وهذا ما سعت إليه فرنسا ومنذ بداية فكرة تأسيس المنظمة الأوروبية وهو عقد الشراكة الفرنسية-الألمانية لإنتاج الفحم والفولاذ واستهلاكه وتصديره والتي تم التوقيع عليها في باريس في ١٨ نيسان ١٩٥١ ودخلت حيز التنفيذ في عام ١٩٥٣.^٣ وهذا ما لا ترغبه الولايات المتحدة الأمريكية، لكون فرنسا تريد من توسيع نفوذ الاتحاد الأوروبي ان يكون قوة قادرة على ان تحمل محل عالم القطب الواحد الراهن و السعي باتجاه عالم متعدد الاقطاب بمواجهه الولايات المتحدة الامريكية، بالرغم من ان

^٢ ايريك روثو، سياسة فرنسا الخارجية بين الولايات المتحدة والوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣١٩، عام ٢٠٠٥، ص ص ٤٩-٥٠.

^٣ جمال الدين بيومي، مصر والاتحاد الاوروبي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٢، تشرين الاول عام ٢٠٠٠، ص ص ٩٦-٩٥.

الدولتين المذكورتين تنتهجان سياسة استعمارية تحت مظلة وخيمة النظام الرأسمالي ولم تخرجا عن الاهداف الاستراتيجية للمعسكر الغربي المعادي للماركسية الشيوعية آنذاك و كان المسعى الفرنسي مبكرا في مواجهة السياسة الامريكية او هكذا ارادت ان يكون فمجها منذ زمن الجنرال الفرنسي الراحل شارل ديغول مؤسس الجمهورية الفرنسية الخامسة.

حيث بدأ بمعارضته وادانته لمؤتمر يالطا بعد الحرب العالمية الثانية والذي حاول او عمل على تقسيم مناطق النفوذ في دول العالم بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي السابقين اللذين انتصرا في الحرب العالمية وانبثقت عنها زعامة الولايات المتحدة الامريكية على انظمة دول اوروبا الغربية وبعض الدول الموالية لها بينما ترأس الاتحاد السوفيتي مجموعة دول اوروبا الشرقية وبعض الدول الموالية اليه ايضاً، كما تمخض عن مؤتمر يالطا تقسيم بعض الدول العربية بين تلك الدولتين، و اراد الجنرال ديغول ان تلعب فرنسا دوراً مهماً ورئيساً مستقلاً عن القطبين الدوليتين الرئيسيتين آنذاك، وهذا ما جعل او حدى بالرئيس الفرنسي ديغول بان يرسل رسالتين تاريخيتين ومهمتين الى كل من الرئيس الامريكي دوايت دايفيد ايزنهاور ورئيس الوزراء البريطاني موريس هارولد ماكملان⁴.

وتضمنت تلك الرسالتان باتباع نوع من اللامركزية في السلوك السياسي داخل المعسكر الغربي او الرأسمالي وان يكون لفرنسا دوراً فعالاً ومؤثراً في العلاقات الدولية، كما تضمنت الرسالتان المذكورتان مقترحاً فرنسياً بان تحل ادارة او لجنة ثلاثية من كل من الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة وفرنسا بدلاً من ترأس قيادة الحلف الاطلسي (الناتو) محل القيادة او الادارة الامريكية وخاصة بعد تأسيس وانشاء حلف وارشو الذي ترعمه الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية، وكان الجواب الامريكي سلبياً على تلك الرسالتين لعدم رغبة وقناعة الولايات المتحدة الامريكية تخليها عن قيادة حلف الناتو واصرارها على انفرادها بقيادة الحلف وتوجهه لرغباتها في تحقيق اهدافها الاستراتيجية والحفاظة على مصالحها وأمنها القومي، وقد ادى رفض الطلب الفرنسي هذا الى اتباع وتنفيذ القرار السياسي المستقل الذي اتخذته الجنرال ديغول ضد الولايات المتحدة الامريكية والذي استهدف اعادة النظر في الدبلوماسية الفرنسية تجاه امريكا وما خرج فرنسا من الجناح العسكري للحلف الاطلسي (الناتو) في آذار من عام ١٩٦٦ الا تأكيد على استقلالية القرار السياسي الفرنسي الذي اعلنه الجنرال ديغول وهذا يعد بداية اعلان التحدي الفرنسي للهيمنة الامريكية ورغبة فرنسا في

⁴ د. سمير الظاهر، السياسة الخارجية الفرنسية في الشرق الاوسط منذ الجنرال ديغول وحتى ميثران، حالي العراق وابنان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة رين، فرنسا عام ١٩٩٠، ص ٧٨.

الابتعاد والخروج من السيطرة والهيمنة الأمريكية للعالم الرأسمالي وانفرادها بالأمور الدولية على الساحة الدولية^٥.

في الواقع و على هذا الأساس فان فرنسا تسعى الى مواصلة الدبلوماسية الديغولية التي أصبحت مع مرور السنين البوصلة الموجهة للدولة الفرنسية في السعي الى خلق توازن مقابل الولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي تعزيز سيادة الدول الأوروبية وفي الوقت نفسه دعم مصالحها الاقتصادية^٦. وانسجاماً مع هذا الموقف الفرنسي تجاه الولايات المتحدة الأمريكية واتخاذ سياسة ذات مبادئ وأهداف حققت لفرنسا حريتها واستقلاليتها وخاصة بعد تفجيرها لأول قنبلة نووية فرنسية عام ١٩٦١ وتدعيماً لهذا النهج المستقل، حاربت فرنسا كل تبعية لأمريكا، كما دعت ديغول آنذاك الى تعرية القوة الأمريكية ومخاطرها على النظام الدولي^٧.

واستمرت فرنسا في مناهضتها للسياسة الأمريكية في العديد من القضايا الدولية والاقليمية وخاصة بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ (فرنسا-بريطانيا-اسرائيل).

ب. استمرارية الخلافات بين واشنطن وباريس

يمكن القول، بان فرنسا استمرت في مناهضتها للسياسة الخارجية الأمريكية، وقد احتلت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا حيزاً مهماً وكبيراً في اهتمامات العديد من المحللين السياسيين والاقتصاديين، ويعود الفضل لهذا الاهتمام الى سياسة الجنرال ديغول، مؤسس الجمهورية الفرنسية الخامسة لكونه رسم بقوة نوعية العلاقات التي ينبغي ان تسود في العلاقات الدولية، سواء بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية او الاتحاد السوفيتي السابق، وسعت دائماً في استمراريته على النهج المستقل عن تلك الدولتين العظمتين آنذاك كما ذكرنا سابقاً وخاصة بعد وصول ديغول الى قيادة دفة الحكم في الدولة الفرنسية عام ١٩٥٨، حيث أكد بانه لا يمكن استرجاع دور فرنسا المهم والمؤثر على الصعيد الدولي من دون تلك الاستقلالية وخاصة بعد هزيمتها وفشلها في الهند الصينية وكذلك خلال العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦.

في الواقع عدَّ الجنرال ديغول، الوطن العربي عامة والخليج العربي خاصة بوابة للدخول الى العالم الثالث، ولهذا السبب اراد ان يعود النفوذ الفرنسي الذي فقدته في منطقة الشرق الاوسط خاصة

^٥ د. سمير الظاهر، السياسة الخارجية الفرنسية في الشرق الاوسط منذ زمن ديغول وحتى ميتران، مصدر سبق ذكره، ص ص ٨٠-٨٤.

^٦ ايريك رولو، سياسة في الخارجية بين الولايات المتحدة والوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص ص ٤٩-٥٠.

^٧ Claud Julient, L'empire amerivan, Livre de pouch Vo 3501, Paris, Grasset, 1998, p.16.

اذ ما علمنا بان تلك المنطقة تشكل موقعاً استراتيجياً وتمتلك ثروات هائلة كما ذكرنا سابقاً وبخاصة الثروة النفطية التي تشكل عصب الحياة الاقتصادية في العالم، وهذه الاسباب نرى بان الزعيم الفرنسي ديغول شدد على ابقاء المصالح الفرنسية العليا بعيداً عن التأثيرات الامريكية المباشرة حتى يرتفع صوت فرنسا عالياً في المجال الدولي.

لاشك ان عودة سريعة الى الوراء تذكرنا بمواقف فرنسا التاريخية والمستقلة عن الهيمنة الامريكية والسوفيتية ودعماً لهذا السلوك المستقل فقد انتقدت وعارضت فرنسا التدخل الامريكي في الدومونيك، ودعت الى انسحاب الاسطول الامريكي من هناك، كما عارضت فرنسا التدخل الامريكي في فيتنام وساهمت في دعم واستقلال المكسيك ثم كندا فضلاً عن اعترافها بالصين الشعبية وذلك تأكيداً على استقلالية قرارها الوطني من سيطرة وهيمنة الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي السابق⁸. اما على المستوى او النطاق العربي ولمواصلة مواقفها واستمراريتها في النهج المستقل، كان اسلوبها الواضح والحيادي تجاه حرب حزيران من عام ١٩٦٧، اذ ادانت الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة كما حظرت بيع السلاح لكافة دول المنطقة بما فيها اسرائيل وكان هذا الموقف مغايراً ومختلفاً تماماً عن الموقف الامريكي وبعض الدول الغربية بالرغم من وجود علاقات وطيدة وقوية وحميمة بين فرنسا واسرائيل، ولكن الدبلوماسية الفرنسية حاولت ان تلعب اسلوباً ذكياً، نال استحسان ورضا معظم الدول العربية ودول عدم الانحياز وكذلك الحال بالنسبة لحرب تشرين عام ١٩٧٣ بين مصر والدول العربية من جهة واسرائيل من جهة اخرى، اذ جددت فرنسا مواقفها السابقة خلافاً لكل التوقعات وخاصة بعد رحيل الجنرال ديغول ووصول الرئيس الفرنسي الراحل جورج بومبيدو الى السلطة عام ١٩٦٩⁹ الذي كان متوقفاً ان ينتهج خطأ مغايراً لما أخطه الجنرال ديغول.

وفي لبنان كان الموقف الفرنسي من الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ والاحتلال الاسرائيلي للجنوب اللبناني يختلف ايضاً عن الموقف الامريكي حيث ادانت فرنسا وبشدة الغزو الاسرائيلي للاراضي اللبنانية اضافة الى موقفها وتأييدها لقرار مجلس الامن الدولي والداعي الى انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان وبدون شروط ولعدة مرات، وفي السياق نفسه كان الموقف الفرنسي من القضية الفلسطينية مختلفاً إذ دافع الجنرال ديغول عن فهمه وموقفه مؤكداً بأن على اوروبا ان تقف على قدميها

⁸ د. سمير الظاهر، السياسة الفرنسية تجاه الشرق الاوسط والوضع في الخليج العربي، جريدة العراق، العدد ٤٥٢٩، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٩٠.

⁹ د. سمير الظاهر، بعد انهيار الجدار الفولاذي السوفيتي.. هل ينهار تمثال الحرية؟!، جريدة الشمس الليبية، طرابلس العدد ١٢٩٧، ١٦ تموز ١٩٩٧، انظر ايضاً جريدة كل العرب، لندن، ٢٠ تموز ١٩٩٧.

في منتصف الطريق بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية وكذلك فتح الطريق لموقف مستقل فيما يتعلق بالصراع العربي-الاسرائيلي¹⁰.

كما أكد ايضاً الرئيس الفرنسي الراحل جورج بومبيدو النهج نفسه، ففي عام ١٩٧٣ قال بان قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ كان معيباً، اذ اشار الى ان الفلسطينيين هم لاجئون ولم يحدد القرار بان المشكلة كانت سياسية وليست انسانية فحسب¹¹، كما أكد البيان الصادر في البندقية عام ١٩٨٢ والذي اعترف بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره ومنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني وشريكاً اساسياً لتحقيق السلام في الشرق الاوسط وهذا ما اغاظ الولايات المتحدة الامريكية وابدت استياءها وعدها تحدياً لسياستها في المنطقة.

ومن هنا المنطلق نستطيع ان نؤكد بان هناك حاجة ورغبة متأصلة لدى القادة الفرنسيين المتعاقبين بالرغم من اختلاف توجهاتهم السياسية على اتباع النهج الذي ارساه ديغول والاستمرارية في ايجاد دور عالمي بارز لفرنسا فعلى سبيل المثال أكد الرئيس الاشتراكي الراحل فرانسوا ميتران والذي يعد اكثر ميلاً وتوافقاً وتبعية للسياسة الخارجية الامريكية قياساً او نسبة الى القادة الديغوليين، على استقلالية القرار السياسي الفرنسي فاشارة في تصريح له بتاريخ ١٤ تموز ١٩٨٣ بمناسبة الاحتفالات بذكرى الثورة الفرنسية الى ذلك بالقول "بان جميع القرارات الخاصة بالاستقلال والسيادة الفرنسية لا تقرر في موسكو ولا في واشنطن ولا في جنيف وانما هنا في باريس"¹². وفي نفس السياق فقد اتسمت السياسة الخارجية الفرنسية بعد وصول الرئيس الفرنسي جاك شيراك الى السلطة عام ١٩٩٥ بالوضوح والاستقلالية التي انتهجها الجنرال ديغول وحاولت فتح صفحة جديدة او سياسة خاصة تنسجم مع واقع المتغيرات الدولية وخاصة في منطقة الشرق الاوسط، والتي تعارضت مع الدبلوماسية الامريكية في العديد من القضايا الدولية والاقليمية وتحديداً موقفها من الصراع الفلسطيني-الاسرائيلي، وموقفها الحيادي مع حركة حماس التي فازت في الانتخابات الفلسطينية الاخيرة وكذلك الوضع في العراق ولبنان. فالموقف الفرنسي من النزاع العربي-الاسرائيلي واضح ويستند على تحريك بل الاسراع في عملية التسوية لحل شامل للقضية الفلسطينية وانشاء الدولة الفلسطينية، اما على صعيد الوضع في العراق فقد وصلت الخلافات بين واشنطن وباريس الى درجة كبيرة وخاصة بعد التهديدات الامريكية

¹⁰ ايريك رولو، سياسية فرنسا بين الولايات المتحدة الامريكية والوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤-٥٥.

¹¹ نفس المصدر السابق، ص ٥١.

¹² Entretien accordé par Le Président de La République à TFA, in La politique Etrangere de la France, Textes et Documents, Juillet, aout.1983

لشن الحرب ضد العراق، وهو ما ترجم فعلياً عندما اكدت فرنسا رفضها للحرب التي شنتها الولايات المتحدة الامريكية على العراق واحتلاله دون موافقة المنظمة الدولية ومجلس الامن الدولي، واكد الرئيس الفرنسي جاك شيراك "بانه اذا قررت الولايات المتحدة الامريكية التدخل العسكري بمفردها فسوف يكون ذلك خارج اطار المجتمع الدولي"¹³. في الواقع ان الموقف الفرنسي تجاه العراق وبعد احتلاله في ١٧-١٨/٢٠٠٣ من قبل الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وسقوط نظام الحكم في العراق اصبح اكثر وضوحاً ففرنسا تريد وترغب في اعادة علاقاتها الجيدة والمتطورة مع العراق كما كان الحال سابقاً، الا ان فرنسا واجهت وستواجه العديد من الصعوبات والعقبات والمشاكل في تطوير علاقاتها مع دول الشرق الاوسط في الطرف الراهن وما يهمننا في هذه الدراسة هو الموقف الفرنسي وحلافها مع الولايات المتحدة الامريكية حول الوضع في لبنان.

القسم الثاني: إشكالية العلاقات الامريكية-الفرنسية في لبنان

في الواقع تطرقنا في القسم الاول من هذا البحث المتواضع عن الخلافات والاختناقات والتوترت بين الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ وخاصة في منطقة الشرق الاوسط المتفجرة والمتخومة بالاحداث الساخنة التي كادت تعصف، او تنذر بانفلاق حرب عالمية ثالثة وخاصة في الستينات وتحديداً بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وتأميم قناة السويس وتهديدات الاتحاد السوفيتي السابق للولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا، فكانت السياسة مستعبدة استعباداً مزدوجاً، استعباد الايديولوجية واستعباد الميل الى استخدام القوة وهنا نستذكر مقولة تشرشل رئيس الوزراء البريطاني الاسبق عندما طرح عليه سؤال، "لماذا تمد يدك (تصافح) الى ستالين وانت تعتبره عدو الشعوب.. فكان جوابه... ليس هناك عدو دائم لبريطانيا.. ليس لها صديق دائم.. وانما لديها مصلحة دائمة"، وهكذا هو الحال في العلاقات الدولية في وقتنا الحاضر بالرغم من تغيير الظروف والمعطيات وانما اكير دولة في العالم عام ١٩٨٩ وظهور الدولة الكونية الوحيدة في الوقت الحاضر وهي الولايات المتحدة الامريكية.. وان ظهور دول عظمى تعيد التوازن الدولي وتخلق نظاماً عالمياً جديداً متعدد الاقطاب، مسألة حتمية ولا مجال لذكر تفاصيلها في هذا البحث.. ولكن ما يهمننا ان ندخل مباشرة الى صلب موضوعنا وهو مستقبل العلاقات الامريكية-الفرنسية في لبنان.

¹³ جريدة "لوفيفارو" الفرنسية، ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٣.

أ. التغلغل الأمريكي في لبنان

يمكن عد الاستراتيجية الأمريكية ظاهرة تاريخية تسدها الظروف والمتغيرات الدولية على تكرارها واعادتها وتغييرها في كل فترة من الفترات وفق ما يتلاءم مع جوهرها في كل من الفترات حسب مصالحها وأمنها القومي، وهذه الظاهرة الأمريكية ترتدي لباساً جديداً تعبر في جوهرها عن وجود فلسفة واحدة ودائمة وهي نزعة الهيمنة والسيطرة على العالم ومنذ فترة ليست بالقصيرة، ابتداءً من مبدأ مونرو الذي كان يقضي بعدم أو منع تدخل الدول الأوروبية في الشؤون الداخلية لدول أمريكا اللاتينية أو استعمارها ومروراً بمبدأ أو مشروع ايزنهاور الذي دعى إلى سياسة ملئ الفراغ في الشرق الأوسط بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر من قبل فرنسا وبريطانيا وإسرائيل وبعد الانسحاب غير المباشر لتلك الدول من المنطقة كما ذكرنا سابقاً واستبدالها بقوات عسكرية أمريكية لغرض المحافظة عليها وحمايتها ثم السيطرة عليها إضافة إلى منع تسلل النفوذ الشيوعي في المنطقة آنذاك وانتهاءً بمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي طرحته الولايات المتحدة الأمريكية لغرض الهيمنة على تلك المنطقة ونشر (الديمقراطية الأمريكية) على الدول المذكورة، وانصب الاهتمام الأمريكي على تلك الدول ومن ضمنها لبنان بوصف الأخيرة هي إحدى الدول القريبة والمجاورة لإسرائيل الحليف الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية والتي تعد حلقة الوصل مع مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي طرحته الإدارة الأمريكية.

ومن المعروف وخاصة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ شنت الولايات المتحدة الأمريكية حملة مكثفة ساندتها بعض الدول الأوروبية لمكافحة الإرهاب، وبدأت الدبلوماسية الأمريكية تتخبط في اتخاذها للقرارات سواء الدولية أو المحلية حول وضخامة وجسامته هذا الحدث للأضرار الكبيرة التي تكبدها الولايات المتحدة الأمريكية مادياً ومعنوياً وقامت بشن ضربات جوية عشوائية لبعض الدول الأفريقية وكما عبر الرئيس الأمريكي جورج بوش بعد أحداث أيلول ٢٠٠١ بأن من لم يقف معنا فهو ضدنا...؟. واثار هذا التصريح استياء العديد من زعماء دول العالم، حيث عده الكثير من المحللين السياسيين بأنه انتهاكاً لسيادة تلك الدول بل وإجبارهم على الوقوف مع الولايات المتحدة الأمريكية بوصف الأخيرة هي "الضامن للنظام العالمي كما أشار إليها الرئيس الأمريكي جورج بوش معتمدة على تحقيق ذلك على نفسها"¹⁴. وكذلك فإن هذا التصريح أثار الكثير من الجدل وخاصة بين الولايات

¹⁴ أحمد فاروق عبد العظيم، سياسة القوة في المشروع الأمريكي للنظام العالمي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٥٨، أكتوبر ٢٠٠٤، ص ص ٣٠-٣١.

المتحدة الأمريكية وحليفاتها لان هذا المنطق لا يمكن قبوله او تبريره لكون هذه الفكرة او هذه الظاهرة والتي تؤكد لها الادارة الأمريكية مراراً كونها تمتلك كافة الامكانيات سواء العسكرية او الاقتصادية للسيطرة على الساحة الدولية وهذا ما يرفضه الاتحاد الاوروي وروسيا والصين واليابان وغيرها من الدول الاخرى.

وعودة الى الوراء يتضح لنا بان للولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية متغيرة وثابتة في نفس الوقت.. متغيرة حسب متطلبات الوضع الدولي والساحة الدولية وثابتة في حماية مصالحها الوطنية والمحافظة على امنها القومي. ولهذا تعتمد الدبلوماسية الأمريكية إلى اتباع وسائل مختلفة مع جميع دول العالم لتحقيق اغراضها آنفة الذكر، فالولايات المتحدة الأمريكية ترغب وتحاول اليوم فرض نظام عالمي سمته هي الامبريالية التوسعية التي سادت في القرنين الثامن والتاسع عشر بينما ترفض بقية دول العالم بما فيها حلفاء امريكا الرئيسيون سياسة القوة، ولكن لا يوجد أي خليط من الدول الاخرى قادر على منعها من انتهاج هذه السياسة¹⁵.

ونستطيع القول من خلال ما تقدم ان عجز او اخفاق الولايات المتحدة الأمريكية بحل النزاع العربي-الاسرائيلي لوحدها ومنذ فترة طويلة بسبب تشابك الاحداث والظروف الدولية واحتدام الصراع بين الاطراف المعنية سواء "القوى الدولية قبل وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ودول المنظومة الاشتراكية السابقة وبين الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها من جهة او بين الدول الاقليمية مثل مصر وسوريا والعراق والاردن واسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة اخرى، واختلاف وجهات نظر جميع الاطراف المعنية، بحل النزاع العربي-الاسرائيلي حلاً سلمياً وعادلاً يرضي الطرفين المتنازعين، الا ان الولايات المتحدة ارتأت وتمسكت بأخذ زمام الامور في هذا الصراع المزمع على عاتقها مستغلة بذلك هيمنتها وسيطرتها على النظام العالمي الجديد، ولهذا الاسباب وكما اكدنا سابقاً بان الولايات المتحدة الأمريكية تسعى وتؤكد على زيادة وتوسع نفوذها في لبنان من اجل تحقيق ما يلي:

١. حماية امن اسرائيل واستقرارها بوصفها الحليف الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية وحلقة الوصل بينها وبين دول المنطقة.
٢. تنافس الحزبين الرئيسيين في امريكا وهما الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي في الانتخابات الرئاسية المتعاقبة ومنذ فترة طويلة للفوز بكرسي الرئاسة واستلام السلطة والاستعانة او

¹⁵ نفس المصدر السابق، ص ٣٢-٣٣.

الاعتماد على النفوذ الاسرائيلي نظراً لقوته وتأثيره على الرأي العام الامريكى بسبب سيطرة جماعات الضغط (اللوبي الصهيوني) ودورها الفعال والمؤثر في الانتخابات الامريكية ولذلك نرى ان الحزبين المذكورين يحرصان على دعم اسرائيل لضمان فوزهما في اية انتخابات تجري في الولايات المتحدة الامريكية حيث ان كلا الحزبين ومنذ القدم يتنافسان على كسب اللوبي الصهيوني من خلال الحملات الانتخابية والدعايات والوعود التي يتعهدون بها الى اسرائيل في حالة فوزهما في الانتخابات.

٣. قناعة الولايات المتحدة الامريكية بانها الدولة الوحيدة القادرة على حل وتسوية الصراع- الاسرائيلي وتحقيق السلام من اجل حماية اسرائيل بغض النظر عن مواقف الدول الكبرى او الدول الاقليمية.

٤. التغلغل والسيطرة والهيمنة على منطقة الشرق الاوسط الكبير وجعل اسرائيل المرتكز الاول التي تستند عليه الولايات المتحدة الامريكية لتحقيق غرضها المنشود.

٥. قمع او الاطاحة بالانظمة العربية او المنظمات الثورية التي تعادي اسرائيل او تقف محايدة تجاه الصراع العربي-الاسرائيلي.

٦. المحافظة على امن واستقرار الانظمة العربية والاسلامية الموالية للولايات المتحدة الامريكية.

٧. مكافحة الارهاب الدولي الذي تدعّمه الولايات المتحدة الامريكية والقضاء على ما يسمى بـ(دول محور الشر او الدول المارقة) في الشرق الاوسط وفرض الديمقراطية الامريكية على دول المنطقة".

وأضافة الى ذلك فان سيطرة الولايات المتحدة الامريكية وهيمنتها على منابع النفط الهائلة التي تتمتع بها دول الشرق الاوسط والخليج العربي وجعلها جسراً تعبر اليه الى ابعد نقطة في العالم. ومن المعروف ان الدبلوماسية الامريكية قد سعت الى ابعاد او خروج التواجد العسكري السوري من لبنان الذي كان يشكل خطراً على اسرائيل التي ترفض الخروج من مرتفعات الجولان فضلاً عن محاربتها وعدائها لحزب الله والذي تعدّه الولايات المتحدة الامريكية (حزباً ارهابياً) يهدد اسرائيل والمصالح الامريكية في المنطقة واستمرار الضغوط على سوريا وتهديدها بوصفها دولة داعمة للارهاب وهذا ما دعا الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا على استصدار قرار مجلس الامن الدولي المرقم (١٥٥٩) الذي يقضي بخروج القوات السورية من لبنان وهذا ما عملته سوريا بعد ضغوط امريكية وفرنسية مكثفة.

بالرغم من تلك الاجراءات التي اتخذتها الولايات المتحدة الامريكية ضد سوريا وتهديداها لها واخراج قواتها من لبنان، الا ان الادارة الامريكية قد واجهت صعوبات ومعوقات كثيرة في احتوائها وتغلغلها وتواجدها في لبنان سواء من فرنسا او بعض الدول الاخرى فضلاً عن الاحزاب والحركات السياسية وبعض الشخصيات اللبنانية الراضية الى خروج او انسحاب القوات السورية من لبنان وذلك لعمق العلاقات التاريخية والتقليدية والسياسية والاقتصادية والامنية التي تربط بين سوريا ولبنان ومنذ فترة طويلة اضافة الى خوفها من هجوم اسرائيلي محتمل ضد لبنان والمقاومة الوطنية والمتمثلة بحزب الله مستقبلاً.

ب. الموقف الفرنسي من التواجد الامريكي في لبنان

في الواقع افرزت احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن والحرب في افغانستان والاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ والخلاف السوري اللبناني وتطورات احداث الصراع الفلسطيني-الاسرائيلي وخاصة بعد فوز حركة المقاومة الاسلامية (حماس) في الانتخابات الفلسطينية الاخيرة وما رافقها من ردود فعل دولية وعربية، افرزت جميع تلك الاحداث وغيرها تحولاً نوعياً في السياسة الخارجية الفرنسية في الشرق الاوسط وخاصة بالنسبة للدبلوماسية الامريكية في المنطقة، فبعد الخلافات العميقة والقديمة بين واشنطن وباريس بدأ الثلج يذوب تدريجياً وبدأ التقارب بينهما نوعاً ما ويحذر يشوبه القلق حفاظاً على مصلحة الدولتين في تحقيق اهدافهما الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية في هذه المنطقة بالرغم من وجود وجهات نظر مختلفة في العديد من المشاكل والمواضيع المطروحة على الساحة الشرق اوسيطية وخاصة في لبنان.

ولغرض تسليط الضوء على الموقف الفرنسي تجاه التوجه الامريكي نحو لبنان لا بد من التذكير انه وبعد حرب تشرين عام ١٩٧٣ برز دور سوريا برئاسة الرئيس الراحل حافظ الاسد اقليمياً ودولياً خاصة بعد التحالف الاستراتيجي بين سوريا والاتحاد السوفيتي السابق وتحولت سوريا الى دولة قوية إقليمية في المنطقة سياسياً وعسكرياً، لها مكانتها وتأثيرها على احداث المنطقة حيث شهدت العلاقات السورية اللبنانية في ظل الرئيس السوري السابق تطوراً كبيراً في كافة الميادين حتى اطلق على حافظ الاسد لقب (ابو هول دمشق!!)^{١٦}، مما حدى بوزير الخارجية الامريكي الاسبق هنري كيسنجر بالتأكيد على ضرورة التدخل او الضغط من قبل الادارة الامريكية على سوريا لمنعها من مساعدة

¹⁶ نقلاً عن: د. رضوان زيادة، العلاقات السورية اللبنانية.. بين الماضي والحاضر، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٤، نيسان، ٢٠٠٦.

ودعم الفلسطينيين ضد اسرائيل، وبالمقابل فقد أكد بان اسرائيل سوف تهاجم لبنان للحد من العمليات العسكرية الفلسطينية عبر الاراضي اللبنانية، لكون السياسة الاسرائيلية تعد سوريا تعتبر واحدة من اهم العضلات الرئيسة في سياسة اسرائيل الاقليمية فسوريا كانت القوة العربية الوحيدة المعادية والمجاورة لها والتي لم توقع اتفاقاً للسلام مع اسرائيل.. كما كانت سوريا الدولة الوحيدة التي سمحت للفلسطينيين بالانطلاق من اراضيها للهجوم على اسرائيل¹⁷.

وبعدها تطورت وتضاعفت الاحداث الخطيرة بعد دخول الجيش السوري الى لبنان وخاصة ابان الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ ولم تعد سوريا داعمة اقليمية وعربية للبنان بل على العكس ان صح التعبير، فقد اصبح وجودها في لبنان يعد تدخلاً في شؤونها الداخلية، بينما عده حافظ الاسد دعماً لقوات الردع العربية ضد اسرائيل. في تطور لاحق انتخب العماد اميل لحود رئيساً للجمهورية اللبنانية في تشرين الثاني ١٩٩٨ وكان مدعوماً من سوريا ومالياً لها، بالرغم من معارضة العديد من الاحزاب السياسية اللبنانية وخاصة الحرب التقدمي الاشتراكي والذي يرأسه وليد جنبلاط ولاسباب عديدة منها تخوفه من عودة العسكريين الى الحكم حيث كان العماد لحود قائداً للجيش اللبناني عام ١٩٨٩ وتخوفهم من ان تفقد البلاد الحرية والديمقراطية والعودة الى الدكتاتورية او الحكم العسكري مما اثار استياء او عدم ارتياح فرنسا، فمن وجهة نظرها ان اختيار لحود كرئيس للجمهورية يعني اضعاف النفوذ الفرنسي في لبنان، وخاصة بعد تأييد العماد لحود لاتفاقية الاخوة والتعاون والتنسيق بين سوريا ولبنان من اجل عملية السلام وان التنسيق الاخوي بين الجيش السوري واللبناني هو تحالف استراتيجي بين البلدين لمواجهة أي عدوان خارجي عليهما¹⁸.

الا ان الدبلوماسية السورية اصابتها التصدع والضعف والتردي في علاقاتها الدولية والاقليمية والداخلية، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق والحليف الرئيس لسوريا في المنطقة واندلاع حرب الخليج الاولى عام ١٩٩١ اثر الاجتياح العراقي للكويت ووقوف سوريا مع قوات التحالف في ضربها للعراق و وفاة الرئيس حافظ الاسد عام ٢٠٠٠ ووصول الرئيس الحالي بشار الاسد على رأس السلطة في سوريا ثم جاءت احداث ايلول عام ٢٠٠١ و مشروع الولايات المتحدة بما يسمى بمكافحة الارهاب الدولي، فضلاً عن انتشار الفساد والرشوة والاضطهاد وانعدام الاصلاحات الديمقراطية في

17 جمال عبد الجواد، سوريا في المنظور الاسرائيلي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٦، اكتوبر، ١٩٩٦، ص ١٠١-٩٧.

18 مختار شعيب، لحود: صفحة جديدة في تاريخ لبنان، مجلة السياسة الدولية، العدد ٣٥، كانون الاول ١٩٩٩، ص ١٨٣-١٨٥.

سوريا وزيادة الضغوط على الحريات الفردية واستخدام القمع والعنف ضد المعارضة السورية في الداخل والخارج وانتهاكات حقوق الانسان شهدت العلاقات السورية-الليمانية منعطفاً جديداً واخذت تزداد سوءاً وبدأت الاحتجاجات والمعارضات بمطالبة خروج القوات العسكرية السورية من لبنان.

ومن هذا الواقع او المنطلق جاء الدور الفرنسي سريعاً والذي انسجم مع الموقف الامريكى بصورة مباشرة او مؤقتة ان جاز التعبير حيث عملا على اعداد مشروع الى مجلس الامن الدولي والذي صدر عنه القرار الدولي المرقم (١٥٥٩) والداعي الى خروج وانسحاب القوات العسكرية والاستخباراتية السورية والمحافظة على سيادة لبنان، ومع ذلك فان محلي السياسة الخارجية الفرنسية يمكن ان يختلفوا مع مثل هذا الانطباع السطحي، فهم يشيرون الى ان الدولتين راعيتي القرار اختلفتا في الواقع وفي الاهداف على السواء¹⁹.

بالرغم من ان هذه المبادرة الامريكية الفرنسية في مجلس الامن الدولي التي ولدت انطباعاً بان فرنسا والولايات المتحدة الامريكية اصبحتا حليفين في سياستهما الخارجية سواء في لبنان او العراق خاصة وفي الشرق الاوسط عامة، ولكنه في الحقيقة كان صدمة كبيرة ومؤثرة لنظام الرئيس السوري بشار الاسد بعد العلاقات المتميزة والمتطورة بين فرنسا وسوريا والتي تجسدت في الزيارة التي قام الرئيس السوري الراحل حافظ الاسد الى فرنسا في تموز من عام ١٩٩٨ والتي تعد اول زيارة يقوم بها الرئيس السوري لدولة غربية كبرى منذ اكثر من ٢٠ عاماً والتي ساهمت في تعزيز ورفع مستوى التعاون بين البلدين في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية²⁰. كما سعت سوريا الى اقامة شراكة اوروبية سياسية واقتصادية بدلاً عن الاتحاد السوفيتي بعد سقوطه وانهاره، كما ان فرنسا وسوريا ابدتا رغبة ملحة في تحريك عملية السلام وتحقيق حل عادل للقضية الفلسطينية.

وفي محاولة دبلوماسية امريكية واضحة الملامح ارادت بما الادارة الامريكية التنافس مع فرنسا من اجل تحقيق مصالحها السياسية والاستراتيجية في لبنان خاصة ومنطقة الشرق الاوسط عامة بدأت في فتح صفحة جديدة مع لبنان من خلال تأييدها وتشجيعها للديمقراطية اللبنانية والتي تتناسب مع شعبها وقربها لامركة الديمقراطية مع بعض الفوارق وهي تريد بذلك ان تطوي صفحة الاخطاء التي ارتكبتها في افغانستان او العراق جراء احتلالها العسكري للعراق في آذار من عام ٢٠٠٣.

¹⁹ ايريك رولو، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.

²⁰ رانيا عبد العزيز عبد المعين، التقارب السوري-الفرنسي.. معاني ودلالات، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٣٤، تشرين الاول ١٩٩٨، ص ٢٣٥-٢٣٦.

ومن هنا، بدأت المعركة السياسية او التنافس السياسي حول لبنان بين الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا، وفعلاً فقد بدأ التحرك الدبلوماسي الفرنسي دولياً من اجل توطيد موقفها وتعزيز تعاونها وزيادة نفوذها في منطقة الشرق الاوسط وصولاً الى لبنان والخليج العربي وخاصة العراق، بالرغم من التحرك الدبلوماسي الامريكى في نفس الوقت على تلك المنطقة، فقد زار الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك، السلطنة العربية السعودية وهي اكبر دولة في الخليج العربي وأكثرها تأثيراً سياسياً واقتصادياً وكذلك زيارة وزير الخارجية الفرنسية آنذاك (دوست بلازي) الى السعودية واكد كلاً من المسؤولين بأنه "ليس لفرنسا في سياستها بالنسبة للعلاقات اللبنانية-السورية أي اجنذة مخيفة فهي مهمة اولاً بسيادة لبنان"²¹ وهذه اشارة واضحة وصریحة لبط وتوسيع التواجد الفرنسي لمزاحمة او الوقوف ضد التغلغل الامريكى في لبنان. وفي نفس السياق صرح مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية بأن الهدف من نشاطها وتحركها هو وقف التدخلات الاجنبية في لبنان"²². وهذه دلالة اخرى غير مباشرة للتدخل الامريكى والاسرائيلي في الشؤون اللبنانية والتي جرت عام ٢٠٠٥ من خلال مشاركة السفير الامريكى في لبنان في العملية الانتخابية هناك"²³.

وفي المقابل، تريد فرنسا تحريراً ورفع الضغط السوري على لبنان واعادة الاستقرار السياسي والامني لهذا البلد الذي عانى نوعاً من التمزق والانشقاق من خلال التواجد السوري في لبنان وهذه احدى اسباب اختلاف وجهات النظر الفرنسية والامريكية على الوضع في لبنان والصراع الخفي والعلني بين واشنطن وباريس حول لبنان، ونتيجة لهذا الوضع المتشابك اراد الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك ان تخرج سوريا من لبنان لانه كان يشك باقامة علاقات بين بلده مع الرئيس بشار الاسد، وشعر الرئيس الفرنسي بأن علاقات فرنسا وسوريا يسودها نوع من الغموض وعدم الايجابية بين الطرفين بالرغم من ان جاك شيراك الرجل الوحيد الذي ايد الرئيس السوري بشار الاسد قبل وبعد وصوله الى السلطة في سوريا وكان الرئيس الفرنسي جاك شيراك قد استقبل بشار الاسد في باريس وهو اول رئيس دولة يستقبله شيراك بعد وصول الرئيس السوري الى السلطة.. وقد قدمت فرنسا لدمشق دعماً مالياً واقتصادياً وتقنياً كاملاً في محاولة لاصلاح المؤسسات الاقتصادية والمالية ومع ذلك فان الرئيس الفرنسي بدرائه وحكته وخبرته السياسية الطويلة ادرك بان علاقات الصداقة الفرنسية-السورية كانت بالنسبة الى بشار الاسد جادة وممكنة في اتجاه واحد وهو سلبى بالنسبة لفرنسا، فالرئيس

21 جريدة الحياة ٧ آذار ٢٠٠٦.

22 جريدة المدى ٢٢ حزيران ٢٠٠٦.

23

السوري لم يكن يستوعب او يتقبل مشورة ورأي ونصيحة الرئيس الفرنسي، وعلى العكس فقد بدأ بشار الاسد يتصرف في الاتجاه المعاكس لمصلحة البلدين وكان يزيد بدلاً من ان يقلل هيمنته على لبنان وهذا ما لا تريده فرنسا لانه في النهاية سوف يضعف او يقلل من اهمية التأثير والنفوذ الفرنسي في لبنان ومن ثم يفسح المجال للتواجد الامريكى فيها وعلى هذا النحو او الاسلوب الذي اتبعه الرئيس بشار الاسد من خلال مسانדתه ودعمه تمديد رئاسة العماد لحود للجمهورية اللبنانية فضلاً عن دمشق منحت الشركات والمؤسسات الامريكى عقود هائلة في مجال الطاقة وغيرها بينما تجاهلت عروضا فرنسية كثيرة ومن اهمها مؤسسة (توتال) الفرنسية الشهيرة والتي تنطوي على مزايا اكثر من الشركات الامريكى او البريطانية وحتى الكندية وقد علق الرئيس الفرنسي جاك شيراك في حينها عن صحة او خطأ ومجراة في مجلس فرنسي خاص بقوله "ان بشار الاسد يكافئ اعداءه فحسب"²⁴.

ولابد هنا من الاشارة الى ان هذا البحث متشعب الاطراف ويقفز من فقرة الى اخرى.. ولكنه في الواقع يؤكد حقيقة لا بد من ذكرها.. فالفوقو فكرية تفوق معنى الفكرية واقصد بهذا لا بد من تجاوز تسلسل احداث الوضع او التنافس الامريكى-الفرنسي حول لبنان خاصة والشرق الاوسط عامة، ولهذا كان لا بد من الايجاز و أحيانا عدم تسلسل الافكار والتواريخ من اجل اىصال الفكرة الرئيسة للقارئ والباحث سويةً وسوف نحاول ان نذكر وبايجاز المسائل المهمة التي توصلنا اليها في هذا البحث ومنها :

١. ان العلاقات الامريكى-الفرنسية قد تحسنت نوعاً ما تجاه الموقف او الوضع في لبنان خاصة او من الاحتلال الامريكى البريطاني للعراق عام ٢٠٠٣ ولاسباب معروفة وخاصة بعد اعادة انتخاب الرئيس الامريكى جورج بوش (الابن) لاربع سنوات اخرى تنتهي العام القادم. ومن هذا المنطلق فمن غير الممكن ان تفقد وتخسر مصالحها في المنطقة ولهذا يجب على فرنسا اعادة علاقاتها المتردية مع الولايات المتحدة الامريكى وهي الدولة العظمى الوحيدة في الوقت الحاضر، مع العلم بان فرنسا سوف تبقى ديجولية، وكل ما يقال عن تقهقر او ضعف الفكر الديغولي في فرنسا خاصة او اوروبا عامة سيكون حيراً على ورق وحتى في حالة فشل الرئيس جاك شيراك في الانتخابات المقبلة عام ٢٠٠٧ و صعود نيكولاس ساركوزي الى السلطة فان الديغولية ستبقى راسخة في ذهن الشعب الفرنسي كما ان تمثال الحرية في امريكا سيسقط

24 ايريك رولو، سياسة فرنسا الخارجية بين الولايات المتحدة والوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.

عاجلاً أو اجلاً بالرغم من هولته وعظمته و للتذكير فهو هدية من فرنسا لامريكا في العقود الماضية، لان القرن الحالي سيشهد عالماً او نظاماً جديداً متعدد الاقطاب.

٢. ان احتلال الولايات المتحدة الامريكية لجمهورية العراق عام ٢٠٠٣ اصبح حقيقة واقعة وواضحة ولا لبس فيها وحسب اعتراف منظمة الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي بالرغم من رفض فرنسا وروسيا الاتحادية والصين للاحتلال الامريكى للعراق والذي جاء بدون الحصول على الشرعية الدولية سواء من مجلس الامن او الدول الكبرى الاخرى، واصبحت فرنسا امام الامر الواقع بالرغم من عدم مشاركتها في قوات متعددة الجنسيات التي وصلت الى العراق بعد الاحتلال وعلى العكس فقد اصرت فرنسا في محاولة مشاركتها بقوات التحالف، على ان تكون القوات الفرنسية تحت او بامرة القيادة الفرنسية وهذا ما رفضته الولايات المتحدة الامريكية وهذا دليل اخر على استقلالية القرار الفرنسي الديغولي، ومن هذا المنطلق أكدت الدبلوماسية الفرنسية عن وجوب تغيير سياستها مع الولايات المتحدة الامريكية، وخاصة بعد النجاح العسكري الذي حققته امريكا في افغانستان وحرب الخليج الثانية، حيث شعرت فرنسا بان دورها قد تراجع في الشرق الارسط ولا بد من تغيير دبلوماسيتها وفقاً لمتطلبات و مستجدات الظرف، وهذا ما دفع فرنسا الى اعادة تشكيل سياستها الخارجية بالشكل الذي يتناسب مع المعطيات الجديدة في محاولة لتحقيق الموقع المناسب لفرنسا من النظام الدولي الحالي.

٣. هناك حقيقة لا يمكن تجاهلها وهي اولاً خوف او قلق فرنسا من التواجد السوري في لبنان والذي قد يؤدي الى التأثير على النفوذ الفرنسي في لبنان خاصة ان سياسة الرئيس السوري بشار الاسد غير مستقرة ومتذبذبة على الصعيدين الدولي والاقليمي فضلاً عن ازدياد شدة المعارضة السورية لحقوق الانسان والمناهضة للنظام السوري وخاصة في لبنان عندما طالبت المعارضة السورية في آذار من عام ٢٠٠٥ بالغاء حالة الطوارئ التي فرضها النظام السوري والمطالبة باطلاق الحريات ونشر وتطبيق الديمقراطية والاصلاحات التي طالبت بها المعارضة وكذلك حرية التعبير واحترام حقوق الانسان^{٢٥} وثانياً عدم التزام سوريا بتعهداتها المسبقة امام فرنسا وخاصة في العقود التي ابرمتها مع واشنطن ولندن سواء النفطية او الاقتصادية وحتى في مجال الطاقة.

²⁵ <http://www.thisisyra.net.9/3/2005>.

٤. ان التقارب السوري-الايرائي ومارافقه من ضجة حول الملف النووي الايراني ومواصلة وتأكيد الموقف الايراني حول تخصيص اليورانيوم ومن ثم امتلاكها مستقبلاً للقوة النووية السلمية حسب ادعاء ايران زاد من تأزم العلاقات السورية الفرنسية نظراً للتهديدات الامريكية باستخدام القوة او فرض الحصار الاقتصادي والعسكري ضد ايران مما اوقع فرنسا في موقف حرج مع الولايات المتحدة الامريكية الامر الذي ادى الى تقارب وجهات النظر الامريكية-الفرنسية حول هذا الموضوع.

وما تقدم يمكن القول بان فرنسا تسعى الى اعادة النظر في سياستها في منطقة الشرق الاوسط بما يتخدم مصالحها السياسية والاستراتيجية والاقتصادية.

الخاتمة

ان التنافس الامريكي-الفرنسي حول لبنان يقع ضمن اطار الهيمنة الامريكية على الشرق الاوسط الكبير وابعاد نفوذ الدول الكبرى عن هذه المنطقة وخاصة فرنسا التي تربطها علاقات تاريخية وتقليدية وثقافية مع هذا البلد. ولهذا ارادت الدبلوماسية الفرنسية تحقيق ما يلي:

١. استعادة الدور الفرنسي الكبير والمؤثر في الشرق الاوسط من خلال مشاركتها الفعلية في تحقيق عملية السلام وحل النزاع الفلسطيني-الاسرائيلي بالطرق السلمية وايجاد حل عادل يرضي الطرفين المتنازعين وعدم انفراد الولايات المتحدة الامريكية بحل النزاع وذلك من خلال تواجدها وزيادة نفوذها في لبنان ومنطقة الشرق الاوسط.

٢. العودة سريعاً الى الموقع الذي فقدته في العراق بعد احتلاله من قبل الولايات المتحدة، حيث تعد فرنسا من اقرب الدول لاعادة علاقاتها القوية والوطيدة مع العراق ومنذ السبعينات لا سيما أن فرنسا لم تشارك في احتلال العراق وهذا يرجح عودة فرنسا الى مكانتها ودورها في العراق وهي مقبولة شعبياً ورسمياً أكثر من غيرها من الدول الكبرى لتساهم في اعمار وبناء البنية التحتية للعراق وخاصة اذا استقر الوضع الامني والسياسي في العراق.

٣. من خلال عودة فرنسا ووضعها ودورها في لبنان والعراق سيفتح الطريق امامها للدخول والعودة الى التواجد الفرنسي في منطقة الخليج العربي بصورة افضل بالرغم من تطور العلاقات الفرنسية-الخليجية وخاصة مع المملكة العربية السعودية وقطر والامارات العربية.

٤. واحيراً ونظراً لكون فرنسا عضواً دائماً في مجلس الامن الدولي ولكونها ثالث اقوى دولة

نوعية في العالم فضلاً عن مركزها الدولي المتميز وموقعها المؤثر في الاتحاد الاوروبي، ناهيك عن قوتها الاقتصادية، فانها ستكون قادرة على مزاحمة النفوذ الامريكى سواء في لبنان او منطقة الشرق الاوسط والمناطق الملتهبة في العالم افريقيا واسيويًا وحتى في دول امريكا اللاتينية.

حاولنا في هذا الموضوع والذي انتهينا منه في بداية تموز ٢٠٠٦ ان نشير الى الهجوم الذي شنته اسرائيل على جنوب لبنان فقد قامت اسرائيل بشن هجوم واسع على جنوب لبنان الذي يتمركز فيه حزب الله وقواته وكافة ضواحي لبنان من اجل اطلاق سراح جنديين اسرائيليين؟ اسرهما حركة المقاومة اللبنانية، وكانت ذريعة او حجة لشن الهجوم الاسرائيلي على لبنان وما ستشهده الايام القادمة من ضحايا وقتلى من قبل الطرفين المتنازعين مستغلة بذلك خروج القوات السورية من لبنان حسب قرار مجلس الامن الدولي (١٥٥٩).

الا ان الموقف الفرنسي لم ولن يتبدل او يتغير وهذا ما لاحظناه اثناء الهجوم الامريكى على العراق عام ١٩٩١ اذ وعلى الرغم من خروج التظاهرات والاحتجاجات المليونية ضد امريكا ولكنها كانت زوبعة في فنجان ان صح التعبير؟ وهناك دليل اخر مستجد وهو البيان الختامي لمؤتمر القمة الصناعية الثمان والذي عقد في موسكو في اواخر تموز ٢٠٠٦ والذي لم يدين الهجوم الاسرائيل على لبنان وهذا يعني ان التنافس الامريكى-الفرنسي على لبنان لازال مستمراً وللحديث صلة.

ونؤكد مرة اخرى بان المقاومة الوطنية اللبنانية والمقاومة الاسلامية وجميع اللبنانيين يؤمنون ويتمسكون بوحدة لبنان، وانطلاقاً من مبدأ الدبلوماسية هي الحرب ولكن بوسائل اللطف، والحرب هي الدبلوماسية ولكن بوسائل العنف، وما تغيير مشروع الشرق الاوسط الكبير الى مشروع الشرق الاوسط الجديد، الا دلالة على فشل الدبلوماسية الامريكية بصورة واضحة وصریحة، ولا يمكن الحديث عنها في هذا البحث، وللحديث صلة و من الله التوفيق.